دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	ظاهرة الاصولية في الخطاب الديني المعاصر من منظور رجاء غارودي
المصدر:	مجلة الصراط (كلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر) - الجزائر
المؤلف الرئيسي:	طوطار، الشريف
المجلد/العدد:	مج 7, ع 13
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2006
الشهر:	جمادي الثانية / جويلية
الصفحات:	204 - 231
رقم MD:	286731
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	غارودي ، رجاء، الخطاب الديني، الاصولية، دلالات الكلمات، المعتقدات الدينية، الاصولية الاسلامية، الفقه الاسلامي، الاجتهاد، اصول الفقه، الاستعمار
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/286731

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

ظاهرة الأصولية في الخطاب الديني المعاصر
من منظور "رجاء غارودي"

د. الشريف طوطاو
أستاذ محاضر بالمدرسة العليا للأساتذة
-جامعة قسنطينة-

مقدمة:

يشكل مفهوم الأصولية أحد المفاهيم الأساسية في المنظومة الفكرية لرجاء غارودي هذا المفكر الغربي المسلم الذي ما فتئ يتحدث عن أزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة والحلول الممكنة لتجاوز هذه الأزمة التي تهدد الإنسانية قاطبة شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، ولعل ظاهرة الأصولية هي احد مظاهر هذه الأزمة واحد أسبابها في نفس الوقت، وخلافا لما هو شائع من أن الأصولية ظاهرة مرضية خاصة بالفكر الإسلامي وتحديدا بالفكر الديني وحده، فان غارودي يقدم مفهوما جديدا للأصولية يتماشى مع نسقه الفكري العام، حيث يعرف الأصولية بأنها الانتساب إلى معتقد ديني أو مذهب فكري أو اتجاه سياسي أو ثقافي، أو .. مع الاعتقاد بتفوق هذا المعتقد أو هذا المذهب على غيره من المعتقدات والمذاهب من حيث امتلاكه للحقيقة المطلقة، وبالتالي السعي إلى فرض هذا المعتقد بكافة الوسائل الممكنة، مما يفضي بها إلى الجمود والتحجر وعقد الاستعلاء والإقصاء والعنف بمختلف مظاهره في بعض الأحيان .

وبحسب غارودي، فإن هذه الأصولية تتخذ ألوانا شتى ليست الأصولية الدينية سوى واحدة منها، وأهم الأصوليات المعاصرة، حسبه الأصولية الغربية بمختلف مظاهرها

وهي الأصولية العلماوية، الأصولية الستالينية والأصولية الفاتيكانية، وفي الطرف المقابل نجد الأصولية الإسلامية بألوانها ومظاهرها المختلفة أيضا كالإسلاموية الجزائرية والإيرانية وأصوليات الشرق (مصر والسعودية ...) ولئن كان غارودي يعتبر الأصولية الغربية هي أصل الأصوليات جميعا فانه مع ذلك يعتبر الأصولية-مهما كان لونها- هي مرض هذا العصر واكبر خطر يهدد الحضارة الإنسانية المعاصرة، وعليه فإننا نتساءل مع غارودي.

-ما هي أهم مظاهر الأصولية في الخطاب الديني (الإسلامي) المعاصر ؟ وما هي أهم أسبابها؟

-وما أثرها على الفكر الإسلامي المعاصر وعلى الحضارة الإنسانية بصفة عامة؟

-ثم ما هي الحلول المقترحة لمعالجة هذه الظاهرة ؟ وبالتالي تصحيح مسار الفكر الديني المعاصر وتجديده ليستعيد رسالة الإنسانية ؟

هذه مجموعة تساؤلات تشكل في عمومها إشكالية هذه المداخلة التي نتوخى منها أن تساهم في إثراء النقاش والحوار الفكري حول هذا الموضوع الهام.

1- مفهوم الأصولية:

1 - 1 - لغة:

أ - / في اللغة العربية:

الأصولية حسب ما جاء في قواميس اللغة العربية المعاصرة تحمل معنى مغاير لما هو متداول فهي مشتقة من الأصل، قال في المنجد عند مادة (أصل) ما يلي:

أصل بأصل أصالة: كان له أصل، أو كان من أصل شريف أو رسخ أصله، فهو أصيل وأصل رأيه: جاد فرأيه أصيل، فأصالة الرأي جودته.

أصل بأصل أصالة: كان له أصل، أو كان من أصل شريف أو رسخ أصله، فهو أصيل وأصل رأيه: جاد فرأيه أصيل، فأصالة الرأي جودته.

والأصل (جمعه أصول) ما يقابل الفرع (جمعه فروع) فالأصل: المصدر أو الوالد أو الحسب والأصول: القوانين والقواعد التي يبنى عليها العالم، فيقال أصول العالم وأصول الدين وعلى هذا فالأصولي أحد اثنين أو كلاهما: الأول المتصرف وفق الأصول فلا يحيد عنها في قول أو عمل ... والثاني المتكلم في الأصول أصول الدين أو أصول الفقه أو أصول العلم أو أصول السلوك فيكشف قوانينها ويبين قواعدها ويرسخ أسسها ليقيم عليها بناء الفروع.

وعلى هذا فالأصولية هي التصرف أو التكلم وفق الأصول المرعية دينيا أو علميا أو أخلاقيا أو قانونيا أو وراثيا أو ما إلى ذلك، مع الالتزام بمقتضاها، دون تحريف أو تزييف[1] فالأصولية في اللغة العربية تحمل معنى ايجابيا.

ب- في اللغة الفرنسية:

تكاد القواميس والمعاجم الفرنسية تجمع على أن الأصولية ترتبط بحركة دينية كاثوليكية وهي حركة تمتاز بكونها تنسب نفسها إلى التراث(الماضي) ومن تم تعلن رفضها لكل تجديد أو تطور وتكييف [2].

وفي رأي غارودي فإن استقصاء معاني الأصولية حسب ما ورد في القواميس والمعاجم اللغوية الفرنسية يسمح باستخلاص المكونات الأساسية للأصولية وهي أولا الجمودية رفض التكيف، جمود معارض لكل نمو لكل تطور ثانيا العودة إلى الماضي

الإنتساب إلى التراث، المحافظة وثالثا: عدم التسامح، الإنغلاق، التحجر المذهبي لطلب الكفاح عناد يقول غارودي معبرا عن المدلول اللغوي للأصولية في اللغة الفرنسية: "حرفيا يمكن للأصولية على هذا النحو أن تضع نفسها كجمودية في مواجهة التطور، كتراث في مواجهة الحداثة، كتحجر مذهبي في مواجهة الحياد، بكلمة يمكن للأصولية أن تكون نقيض للعلمانية"[3].

يتضح من هذا المعنى أن الأصولية اتخذت معنى سلبيا في اللغة الفرنسية حيث ارتبطت بنوع من التطرف الديني المسيحي (الكاثوليكي) بخلاف ما نجده في اللغة العربية.

1 -2 اصطلاحا:

مصطلح الأصولية عند الكثير من المفكرين المعاصرين وخاصة الغربيين منهم، ومن سار في فلكهم من التغريبيين العرب والمسلمين، يكاد لا يختلف معناه عن المعنى الذي سبقت الإشارة إليه في اللغة الفرنسية، إلا من حيث مجاله التطبيقي، حيث توسع مجال استعماله على طوائف وحركات دينية وسياسية وعرقية تتحقق فيها الصفات التي اشرنا إليها سابقا الجمود الماضوية (السلفية) والتطرف ورفض التكيف والتطور، وقد شمل هذا المصطلح بعض الاتجاهات الدينية والسياسية في الفكر العربي والإسلامي، أننا نجد هذه الظاهرة غالبا ما تلصق وتنسب إلى العالم العربي الإسلامي، بل أكثر من غيره يقول المستشرق البريطاني وهو مي بابا:"الأصولية كلمة ذات دلالة سلبية تلصق بالعالم العربي، مع أن الظاهرة عالمية لا تقتصر على ما كان يسمى دول العالم الثالث مثل: الهند، ومصر، بل وجدت طريقها إلى العالم الأول حيث الأصولية الإنجيلية على أشدها في و.م.أ "[4].

وفي التوضيب الإعلامي الغربي نجد الأصولية ترتبط بالتطرف والعنف والإرهاب الذي يرتبط غالبا بالإسلام، وهكذا جعل الأصولية ظاهرة مميزة للخطاب الإسلامي وان كان بعض المستشرقين رفضوا مثل هذا التوضيب[5].

1 -3- مفهوم الأصولية عند غارودي:

يعرف غارودي الأصولية تعريفا عاما، يختلف عن التعريفات السابقة، حيث يقول: تعريف الأصولية واضح فهي تقوم على معتقد ديني أو سياسي مع الشكل الثقافي أو المؤسسي الذي تمكنت من ارتدائه في عصر سابق من تاريخها وهكذا تعتقد أنها تملك حقيقة مطلقة وأنها تفرضها[6] ويتضح من هذا التعريف أن غارودي يوسع في دائرة المصطلح إذ هو يطلقه على كل معتقد سواء كان سياسيا أو دينيا، يزعم انه يمتلك الحقيقة وهذا ما يعرف بالدوغمائية، ومن جهة أخرى يحاول فرض هذه الحقيقة على الآخرين بكل الوسائل وهذا ما يسمى بالعنف والتطرف، ويؤكد غارودي ذلك بقوله: الأصولية هي ادعاء الأصولي أنه يمتلك الحقيقة المطلقة، وانه يمتلك ومن تم، لا الحق فحسب بل الواجب في فرض تلك الحقيقة على الجميع ولو بالتحديد والنار[7]، وهو يرى أن هذا المفهوم ليس مفهوما نظريا قبليا، بل هو مفهوم مستخلص من الواقع سواء الإسلامي منه أو الغربي، يقول مؤكدا ذلك: اذا استخلصنا مفهوم الأصولية من السجالات المباشرة سجلات نهاية القرن 19 في فرنسا مع الكنيسة الكاثوليكية أو سجالات نهاية القرن 20 مع الإسلام، فان حقله التطبيقي يشمل كل حركة دينية أو سياسية تدعي امتلاك حقيقة أخيرة، كاملة مطلقة، كأن ذلك اصطفاء الهي، وبالتالي تدعي أن رأي الآخرين لاغ ولا قيمة له، فرض هذه الرؤية[8].

وبهذا التحديد للمصطلح يرفض غارودي تلك الاتجاهات التي ربطت الأصولية بالدين فقط وتحديدا بالدين المسيحي (الكاثوليكية) والدين الإسلامي، فمصطلح الأصولية عنده لا يصح على كنيسة كاثوليكية كما يمثلها مجمع الفاتيكان الثاني، أو على إسلاموية هي تشويه للإسلام بل يصح أيضا على الأصولية النازية مثلا، وعلى الأصولية الشيوعية الستالينية وعلى العلمانية المذهبية والملحدة مثل إضفاء القدسية على سياسة قومية واستعمارية في إسرائيل أو الثورة الثقافية الصينية الزائفة وأعمال القمع الراهنة[9].

2- جذور الأصولية:

خلافا لما هو شائع فان غارودي يرى أن الأصولية أصلها غربي فمن الأصولية الغربية ولدت الأصوليات جميعا التي هي على العموم رد فعل لهذه الأصولية، يقول مؤكدا ذلك : الأصولية الأولى هي النزعة الاستعمارية الغربية، ترعرعت أول الأمر، لكي تبرر غزوها وفتوحاتها بما قدرت انه امتيازها كشعب مختار: التوسع الشامل لدينها الذي كانت تعده فوق جميع الأديان، ثم بعد تراجع كنائسها، ظلت تعد نفسها مركزا للعالم والخالقة الوحيدة للقيم، وشاءت منذ نهاية القرن(19) أن تفرض على العالم ثقافتها التقنية والتجارية التي سمتها الحداثة [10].

فالغرب تصور نفسه على أنه المركز، وباسم هذه المركزية حاول فرض نموذجه الحضاري على الجميع و لما كان القانون الطبيعي ينص على أن التطرف لا يولد سوى التطرف، ظهرت الأصوليات الأخرى، يقول غارودي: جميع الأصوليات الأخرى من الثورة الثقافية الصينية إلى التطرف الإسلامي، هي ردود أفعال على الأصولية الاستعمارية لحماية النفس من التبعية، ولإنقاذ الهوية ولو كانت هوية قديمة غاية في القدم وأسطورية،

الهوية المعارضة للثقافة المستوردة والعودة إلى الأصول إلى عصر ذهبي بعيد واقع في الماضي (11).

وفي نظر غارودي، فان الأصولية العلموية هي أصل الأصولية الغربية فهي تشكل المرجعية الأساسية للفكر الأصولي الغربي، باعتبارها المسؤولة عن هذا التفكيك للثقافة الغربية التي تغدي روحية تقنوقراطية، يقول، فتوسيع سلطاتنا وقدراتنا التقنية، دون تأمل في الغايات الإنسانية، إنما يقود إلى تحطيم الإنسان وكوكبه وليس إلى تفتحهما الحيوي (12).

3- الأصولية الإسلامية:

3-1-أسسها ومظاهرها:

يقصد غارودي بالأصولية الإسلامية كل الحركات والمذاهب الإسلامية التي تتحقق فيها الخصائص العامة للأصولية التي أشرنا إليها آنفا، فما يميز هذه الأصولية عن غيرها من الأصوليات الغربية بمختلف مظاهرها، هو أنها تقدم خطابا دينيا إسلاميا، أي أنها توظف الإسلام، حسب منظورها الخاص الذي يتراءى لها أنه المنظور الصحيح، وبحسب غارودي فان الأصوليات الإسلامية المعاصرة والراهنة بمختلف ألوانها ومظاهرها، مستوحاة من ثلاثة نماذج أساسية تشكل المرجعية الأساسية لها، و تتمثل هذه النماذج في:

"الإخوان المسلمون في صيغتهم الثانية، أي بعد قولبتهم الأصولية في السعودية الجماعة الإسلامية المودودية في الباكستان، التي ينشرها الأمراء السعوديون في العالم، والثورة الإسلامية الإيرانية" (13).

وقد قامت هذه الأصوليات جميعا، على مجموعة من المبادئ والمعتقدات التي يعـدها غارودي قواسم مشتركة لجميع الأصوليات الإسلامية بمختلف مظاهرها، وأهم هذه المبادئ:

أ – الخلط بين الشريعة والفقه:

ويتجلى هذا الخلط من خلال الدعوة إلى الرجوع إلى الأصول، وقد تمثلت هذه الأصول عند أصحاب الخطاب الديني المعاصر في الكتاب والسنة، مع إضافة التراث السلفي بالنسبة لبعض الفئات ومن هذا المنطلق، فان الخطاب الإسلامي المعاصر لزمته صفة الأصولية، لكن ليس بالمعنى الإستشراقي السلبي، وإذا كان أصحاب هذا الخطاب يبررون هذا الرجوع بقداسة النص وصلاحيته لكل زمان ومكان، فان غارودي، يرى أن هذا المنهج قد أفضى بالخطاب الديني إلى الوقوع في الأصولية الممقوتة بما تتضمنه من جمود وتحجر وانغلاق وتطرف وتمامية ودوغمائية ومصدر هذه الأصولية حسبه يعود إلى خلط هؤلاء بين الفقه والشريعة، فماذا يقصد غارودي بهذين المصطلحين وما الفرق بينهما، وكيف يؤدي الخلط بينهما إلى الأصولية ؟

بعيدا عن المعاني اللغوية التي ما فتئ غارودي يذكّر بها في مناسبات عدة ليستخلص الفرق بين الشريعة والفقه، فانه يقدم تعريفا اصطلاحيا لكل منها مستندا في ذلك إلى نصوص القران ذاتها، فالشريعة حسبه تمثل قانون الله الأخلاقي، أما الفقه فيدل على تشريع الأحكام.

وانطلاقا من هذين التعريفين، يرى غارودي إن المقصود بالشريعة في الإسلام هو المعنى الأول، أي قانون الله الأخلاقي، وهو الطريق الموصل إلى الله، وهذا القانون يمتاز بأنه قانون أبدي ثابت وهو القانون الشامل الذي نصت عليه كل الكتب السماوية بما فيها

التوراة والإنجيل وقد استند غارودي في تأكيد هذا المعنى على تأويل بعض الآيات القرآنية، يقول في ذلك :" لا تظهر كلمة شريعة سوى مرة واحدة في القـــرآن:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾ والله حين يذكر بالرسالات السابقة رسالة موسى والتوراة، رسالة عيسى والإنجيل التي تحتوي كلها "هدى ونورا"يقول أيضا: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾

وفي ضوء تأويله لهذه الآية يقدم غارودي معنى الشريعة في القران والفرق بينها وبين الفقه، فيقول:"يعبر هذا النص بكل وضوح عن كون الشريعة (الطريق) هي تلك التي تقود الإنسان إلى الله، وهذه لا يمكنها أن تكون حكما قانونيا لان التشريعات تتشابه في التوراة والإنجيل والقران، بينما يشدد الله على تواصل رسالته: ينصح الله بالرجوع إلى أولئك الذين تلقوا الرسالة قبل القران، وبالتالي يوصي بالعودة إلى التوراة والإنجيل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ويرى غارودي إن في القران العديد من الآيات التي تؤكد هذا المعنى، حيث يقول:" في هذا السياق تندرج:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾

والشرعة والمنهاج متمايزان تماما:فـ"الشرعة"، أخلاقية شاملة و"المنهاج" تاريخي: إن الغاية أبدية و"الوسائل" لبلوغها تاريخية" (15).

إن ا لخطأ الذي وقع فيه الخطاب الأصولي الإسلامي، في نظر غارودي، هو أن أصحابه حملوا الشريعة على معنى الفقه، فقادهم هذا الخلط إلى أصولية متحجرة و منغلقة، إنهم لم يميزوا بين السنة التي هي كلام النبي المعبر به عن الوحي، وهو الذي قال عنه تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾، فكلام النبي هذا يدخل في نطاق قانون الشريعة الذي هو طريق الوصل إلى الله "إلى الفضائل و الخصال التي ترضي الله"(16)، لم يميزوا بين هده السنة و كلام النبي الذي يصدر عنه لا بصفته نبيا موحى إليه، بل بوصفه بشرا، فكلامه هنا لا يكون ملزما، يقول غارودي في خصوص هذا التمييز :"إن سنة النبي لم توضع لأجل المستقبل، لما بعد وفاة محمد وحسب، إذ أن الله يذكر رسوله في عدة مناسبات إن من الواجب عليه، خارج الوحي الذي يبلغه في القرآن، أن يقول: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ..﴾ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾(17) فالأصوليون إذن أخذوا أقوال الرسول جميعا كحجة لهم، وحاولوا تقليده حتى في الشكل، مع أنه "في القرآن أمر بطاعة النبي ﷺ لا تقليده اللهم إلا في إيمانه و عقيدته"(18) وفي نظر غارودي، فإن الرسول ﷺ ذاته، قد رفض في وقته أن تدون أقواله الشخصية، بل أ راد فقط أن تكتب آيات القرآن، حتى لا يخاطر بالخلط بينها وبين كلام الله، وكان هو ذاته يرى أن تفسيراته الشخصية لا أهمية لها إلا عندما تسترجع القرآن:"عندما أبلغكم أمرا بخصوص الدين، تقبلوه، ولكن عندما أخبركم أمرا بخصوص أمور الدنيا، فعندها لا أكون سوى بشر"(19).

إن التمسك بحرفية السنة هو ميزة لدى الأصوليين الإسلاميين، مما أوقعهم في الشكلانية، التي تتعارض مع الفهم الصحيح للدين الذي يركز على روح الدين وجوهره المتمثل في البعد الروحاني الأخلاقي، هذه هي الخطورة الأولى، وأما الخطورة الثانية فلا تعود إلى تقديس السنة (أي كل ما صدر عن ا لرسول سواء بوصفه نبيا أم بوصفه بشرا عاديا)، وإنما تعود إلى عدم مراعاة الجانب التاريخي للشريعة، بوصفها أحكاما وقوانين جزئية، إن هده الأحكام تتعلق، في نظر غارودي، بأوضاع تاريخية، فهي ترتبط بالزمان والجغرافيا مثل أحكام السرقة والقتل والزنا وغيرها مما يعرف بالحدود وهي التي تدخل فيما يصطلح عليه بالفقه، إن هذه الأحكام إذن غير ثابتة بل تتبدل بتبدل الأوضاع وإن كانت الغاية والمقصد من تشريعها لا يتغير، وهذا ما أدركه الفقهاء الأوائل كأبي حنيفة والشافعي وغيرهما ممن اجتهدوا وقاسوا بعقولهم، يقول غارودي:"إن فعل شرع هو جذر مصطلحي شريعة أو شرعة في كل صيغهما وألوانهما التوجه نحو مورد ماء فالطريق هو الذي يوصل إلى مورد ماء، إلى مصدر، و هو مجاز الطريق، الموصل إلى الله إلى الفضائل والخصال التي ترضي الله، وهذا مختلف تماما عن وصايا وتعاليم فقهية يضعها البشر، انطلاقا من هذه المبادئ، في كل عصر وعند كل شعب، لتنظيم الحياة في المجتمع و لتكوين ما يسميه المسلمون الفقه"[20]، لقد أدى الفهم القاصر للشريعة إلى خلطها بالفقه حيث تم اختزالها في مجموعة من الأحكام الجزئية (الحدود)، والأخطر من هذا انه باب الاجتهاد قد أغلق، وذلك حين نظر إلى اجتهادات الفقهاء الأوائل على أنها اجتهادات قطعية فأصيب الفكر بالجمود والدوغمائية، يقول غارودي في ذلك:"والحال جرت المحاولات تاريخيا، لحصر الشريعة في بعض الأحكام القانونية أولا، ثم أضيفت إليها الأحكام الماثلة في الأحاديث، فتأويلات الفقهاء و فقههم، حتى أن هدا المجتمع المتحجر، المقدس في التراث،

أدى إلى خلط الشريعة، الطريق التي أوحى بها الله، مع الفقه، وهو صياغة حقوقية بشرية تاريخية، تجعل هذه الآيات "التشريعية"مقدسة، كما فسرها الفقهاء منذ عشرة قرون، إن هذه المسيرة معاكسة في تعاليم القرآن والخلفاء الراشدين في المدينة وكبار أئمة الفقه"[21].

إن الأصولية الإسلامية المعاصرة بفهمها القاصر للشريعة، قد التمست الحلول لمشاكل الواقع الراهن انطلاقا من آيات قرآنية نزلت أساسا في سياق تاريخي مغاير، "فكل أية في القرآن هي جواب إلهي عن مسألة ملموسة، وهذا لا يلقي الشك إطلاقا على الطابع الإلهي للتنزيل هذا، بل يضعه في عصر من تاريخ شعب ومن ثقافته وحياته، فجواب مسألة تاريخية من وحي الهي، هو قدوة وليس مادة في قانون مجرد، لا يستلزم إلا استنتاج النتائج"[22]، إن القرآن في نظر غارودي" لا ينبغي أن يقرأ بعيون الموتى"، فهؤلاء الموتى (علماء السلف) اجتهدوا بعقولهم، كما أنه علينا أن نجتهد لأن الله زودنا أيضا بالعقل الذي هو مصدر اجتهادهم، فبالجهود" الشخصي والمسئوول، بالاجتهاد في سبيل "الفهم" كما دعى القرآن إلى ذلك أكثر من(700)مرة للنفاد من خلال قراءاته إلى المبادئ الأخلاقية، الشريعة، التي يتعين عليها أن تلهم قرارات اليوم، ويمكن انطلاقا من هذه المبادئ وضع فقه للقرن العشرين"[23]. إن الأصولية بإنكارها للاجتهاد وإنكاره التاريخانية الشريعة (الفقه) تفضي بالعقل إلى التحجر والجمود، وتشل الإنسان المسلم عن العمل والإبداع، مثلما يؤكد ذلك غارودي في قوله:" إن التكرار الحرفي يجعل الرسالة مبهمة ويشل العمل و الحركة ...فهدا التأويل للرسالة إنما يشل العمل من خلال العلاقات الإنسانية في فترة قديمة من التاريخ، ومن خلال جعل المؤمنين عاجزين عن ابتكار مشروع مستقبلي، انطلاقا من مبادئ الرسالة الحية الخالدة"[24]، إن خطورة هذه النزعة الأصولية، تكمن في كونها "تنزع إلى إقامة نظام إكليركي، أو تيوقراطية مفوضة، ومرتهنة ترفض حق

الشعوب في أية مشاركة حقيقية لبناء المستقبل"[25]، على غرار ما فعلته الأصولية الكاثوليكية بشعوبها، وطبيعي أن يحدث التقاطع بين الأصوليات، لأن الأصولية واحدة وإن تعددت ألوانها.

ب - انبعاث الإسلام:

إن ما يميز الأصوليات الإسلامية المعاصرة أيضا، هو إيمانها بقدرة الإسلام اليوم، على حل جميع المشكلات، ومن هنا الدعوة إلى إحياء الإسلام (الشريعة)، وبحسب غارودي فإن الإسلام، كما فهمه هؤلاء الأصوليون، لا يمكن أن يؤدي رسالته اليوم ولا يمكن إن يحقق انبعاثا جديدا للعالم الإسلامي، وعليه فإن تحقيق هذا الهدف منوط بفهم جديد للإسلام، يختلف عن فهم هؤلاء الأصوليين القائم على الحرفية والمذهبية والدوغمائية والتمامية، وفي هذا يقول غارودي "إن انبعاث إسلام حي غير ممكن اليوم إلا إذا عاود اكتشاف كل أبعاده، تلك التي صنعت عظمته في أصوله و في مراحل عزه، في القرن التاسع حتى القرن الثاني عشر".

فاكتشاف الأبعاد الحقيقية هو الشرط الوحيد لتحقيق انبعاث الإسلام اليوم، وتتمثل هذه الأبعاد فيما يلي:

1- البعد الشمولي: إن الإسلام ديانة صالحة لكل زمان ومكان وهو دين مفتوح على كل الأديان والحكم التي تتفق معه، أي أنه رسالة للإنسانية كافة، وبالتالي فهو يتعارض مع كل مذهبية مغلقة من شأنها أن تؤدي إلى رفض الآخر والحيلولة دون الحوار معه، يقول غارودي:"إن بعده الشمولي (الإسلام) هو بعده القرآني، حتى لا يحصر الإسلام

في هذا التراث أو ذاك من تراثات الشرق الأدنى وماضيه، وحتى يحال دون انغلاقه الحالي، حيث يسعى إلى إبراز اختلافه وإعلان الانتساب إليه (الإسلاموية)، بدلا من نشر الرسالة بالتعاون مع كل أهل الإيمان "[27].

2- **البعد الروحاني**: إن الروحانية هي البعد الصحيح للإسلام، فإذا أفرغ الإسلام من محتواه الروحي صار شكلا بلا روح، إن هذا البعد الروحاني(التصوف)"هو الذي دافع عنه المتصوفون الكبار، من ذي النون إلى ابن عربي، في مواجهة كل المذاهب الشكلية والعبادية والحرفية الجافة "[28].

إن أركان الإسلام في نظر غارودي ينبغي أن تفهم في ضوء هذا البعد الروحي وإلا فقدت قيمتها ورسالتها الجوهرية، يقول:" فأركان الإسلام هي روافع هذا الشكل من الحياة: الصلاة للاتحاد بالله، الزكاة للاتحاد مع الناس، الحج للاتحاد مع الأمة، الصوم لأجل استذكار الله والجوع في آن واحد "فهذه الأركان تهدف إلى تحقيق التسامي (التعالي) والجماعة وهما البعد الجوهري للإسلام، بمعنى أن هذه الأركان ليست مجرد أشكال و طقوس عبادية فردية يتقرب بها إلى الله، بل إن هذه الأركان توطد حياة مكرمة مكرسة لخدمة الله والناس، فهي وسائل لبلوغ غاية، لتحقيق حياة "ومن خلال هدا الفهم يتساءل غارودي:"لكن ماذا يحل بهذه الوسائل المنفصلة عن غايتها؟ وماذا يحل بالأركان التي لا تحمل شيئا ؟ "ويجيب قائلا:"تصير أنقاضا كما هو اليوم حال معابد اليونان القديمة التي ترفع أعمدتها، كدرعان فارغة، في سماء مقفرة". [29]

3- **البعد الاجتماعي**: ويتجلى هذا البعد في تحقيق المساواة و العدالة الاجتماعية ورفض كل أشكال الاستغلال وما يترتب عنها من أثار اجتماعية سلبية، فالإسلام

الصحيح الذي من شأنه أن يحقق انبعاثا جديدا للعالم الإسلامي اليوم"ينفي غاية المصالح المتصارعة وتكدس الثروة في قطب من المجتمع و البؤس في قطبه الآخر"

4-البعد الانتقادي(الاجتهاد): إن غلق باب الاجتهاد أو حصره بين أيدي أقلية (على نحو ما نجده لدى رجال الكنيسة)، يعد من الأمراض الخطيرة التي ابتلي بها الإسلام، ذلك إن الاجتهاد أو الروح الانتقادية أمر جوهري في الإسلام، فمنه يكتسب حيوية وصلاحية لكل زمان ومكان، يقول غارودي:"إن هده الروح الإنتقادية، هذا الاجتهاد، كان يقول عنه محمد إقبال هو القادر وحده على وقاية الإسلام من دائه الأكبر : قراءة القرآن بعيون الموتى". (30)

ومن هذا المنطلق يرى غارودي أنه" لا يمكن إن يبدأ أي إنبعاث للعالم الإسلامي إلا بتغيير جدري في تعليم الدين: فالعلماء وقلبهم الشريعة إلى شكلية شرعية جافة، هما المسئولان كليا، مع الأمراء الدين يعملون على تهميش الإسلام من خلال الأصولية وبها، ولن يحدث شيء طالما لم ينتزع من هذه الاوليجاركية المؤدية والمتحجرة، احتكار الاجتهاد، وحق التلاعب بملايين المؤمنين وحق إقامة صحراء فكرية في بلاد الإسلام"(31).

إن الأصولية في نظر غارودي، لم تدرك الأبعاد الحقيقية للإسلام ولا رسالته الأساسية التي هي دعوة كل مسلم إلى التأمل شخصيا و دون توسط اكليركي، دعوته لكي يكون مسؤولا عن نفسه ويسهم في إنشاء نظام اجتماعي لا يكون قائما على غابة إرادات القوة والشهوات المتصارعة، وفي انتهاج سياسة واقتصاد قائمين على الأخلاق، ولا يكون له ذلك بانعزاله وإبراز اختلافه وتمجيده لذاته، بل يكون خلافا لذلك، من خلال دخوله في تنافس أخوي مع المسيحيين والبشر كافة، مهما كانت هويتهم، حتى لو

أعلنوا أنهم ملحدون، البشر يتصرفون وهم على يقين بأن للعالم معنى، وانه واحد، وإن كلا منا مسؤول عن انتصار هده الوحدة في مواجهة كل الخصوصيات، ومسؤول عن انتصار هذا المعنى في مجابهة النتائج العدمية لاقتصاد السوق والسياسات الاستبدادية التوتاليتارية"[32]. إن الإسلام في نظر غارودي بحاجة إلى فقه تحرير، يحرره من هده الأصولية، على غرار لا هوت التحرير في أمريكا و إفريقيا [33].

3-2- أسباب الأصولية الإسلامية:

أ - الاستعمار(الأصولية الجزائرية نموذجا):

تختلف أسباب الأصوليات الإسلامية باختلاف هده الأصوليات الواحدة عن الأخرى، وحسب غارودي فإن"المصدر الأساسي لكل أصولية، اليوم، هو قمع واضطهاد هوية، ثقافتها أو دينها"[34]. فالأصولية تمثل إذا رد فعل للقمع والاضطهاد، وهكذا فإن غارودي يرد الأصولية الجزائرية (الإسلاموية) إلى سبب رئيس هو الاستعمار الفرنسي، الذي سعى لأزيد من قرن إلى محاولة طمس شخصية الشعب الجزائري وإنكار قيمه، ولأجل دلك قام بتشجيع ومساندة الطرق الصوفية المتمثلة في المرابطين الذين كانوا يمثلون إسلاما أصوليا يبرر وجود الاستعمار وسياسته، على حساب"العلماء التقدميين"كالشيخ ابن باديس أو الشيخ الإبراهيمي الذين كانوا يعلمون إسلاما منفتحا، ملبيا لحاجات عصرنا"، كما عمل على دمج و استيعاب أولئك الذين كانوا يقبلون بفقدان هويتهم[35].

وقد ترتب عن استقلال الجزائر وجود "تيارين من القادة الدين كانوا يرون المستقبل في نوعين من المحاكاة للنموذج الإنتمائي الغربي"، النوع الأول تمثل في محاكاة النموذج السوفياتي على صعيد الإنتاج، والنموذج الثاني تمثل في محاكاة النموذج الرأسمالي على

صعيد الاستهلاك، وقد أفضى هذا الاختيار إلى نتيجة وخيمة سواء على الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، كالمديونية ورفاه البعض على حساب الجماهير، وظهور قادة متعاونين اقتصاديا مع شركات غربية، فضلا عن البطالة في صفوف الشبيبة، يقول غارودي:"وحيث إن هذه الشبيبة لا تجد سوقا لعملها، وقد تكون جمهور من اليائسين وهؤلاء طريدة سهلة يصطاده الدهماويون (الديماغوجيون)في هذه الخلفية، ولدت الأصولية في الجزائر، ولدت أولا كقومية متطرفة، غذتها تجاوزات المحتل السابق الذي رفضت لغته ذاتها (الفرنسية)، ومن الطبيعي بعد ازدراء استعماري طويل للغة العربية أو اللغة البربرية، أن يطالب هذا الشعب بحقه في معاودة التفكير بذاته في لغته الخاصة به، وإن يرجع إليها كمصدر"[36] فهذه الأصولية إذن رفضت وجود لغة ثانية إلى جانب العربية، فكان حسب غارودي، "حذف لغة ثانية متداولة عالميا هو عقبة كأداة أمام الروحانية، أمام الفكر الناقد وأمام التطور العلمي والتقني في آن"[37]، هذا هو الوجه الأول للأصولية التي ولدها الاستعمار في الجزائر والتي اتخذت مظهرا قوميا أما الوجه الثاني لهذه الأصولية فقد اتخذ مظهرا دينيا.

-يقول غارودي:" أما الوجه الثاني لهده القومية الأصولية المتخفية في رداء نهوض ديني، فهو الانغلاق على الماضي"[38] فهدا الشكل من الأصولية إذا تمثله الحركات السلفية، وبحسب غارودي فإن هذا الاتجاه المتمثل في العودة إلى الأصول العربية الإسلامية للشعب الجزائري، هو محاولة لاسترجاع ما سلب منه، إن هذا الاتجاه حسبه يمكن تفهمه من حيث المبدأ، غير أن عملية الإحياء هذه قد انحرفت عن اتجاهها الصحيح مما جعلها تقع في أصولية ممقوتة تتجلى مظاهرها في عدم فهم الإسلام في أبعاده الحقيقية، يقول غارودي:"لكن الأصوليون لا ينطلقون من هنا لإحياء فقه إسلام يجيب عن أسئلة عصرنا

الحيوية فالأمور تجري كلها وكأن المسلم في نظرهم، يعني العيش كرعية الخلفاء العباسيين منذ عشرة قرون تقريبا، ومعنى ذلك إن الإسلاميين الجزائريين، لم يجتهدوا في التكيف مع التطور الحاصل في الواقع وإنما كانوا يعيشون قطيعة مع الحاضر لاعتمادهم على حلول جاهزة أنتجها فكر السلف خلال مرحلة زمنية معينة لها خصائصها ومتطلباتها، وهو ما جعلهم يقعون في الشكلانية التي لا تعبر عن جوهر الإسلام وروحه، يقول:" في الواقع أن العودة إلى الأصول، هي عودة إلى الأشكال والحال فان الألف سنة التي توقظ الأمل لدى الجماهير الشعبية بعصر ذهبي، إنما توجه هذا الأمل شطر تعابير رمزية عن هذا الرجوع: محرمات كسائية أو عبادية تحول شرطا جميلا وصحيا من شرائط الطهارة إلى طهرانية شكلية "[39].

إن هذه الشكلانية التي ميزت الأصولية الإسلاموية في الجزائر أدت في نظر غارودي إلى عجزها عن"تكوين مشروع مجتمعي، تكوين فقه القرن العشرين فما من رد في "برامجهم" على مسائل الجزائر الأكثر حدة اليوم: البطالة، هجر الأرياف، الكفاية الغذائية والذاتية، الديون وما تفرض الشركات المتعددة الجنسية والمصرف الدولي من قيود عبودية، الجيش، المشاركة الشعبية في كل هذه المسائل التي يتوقف عليها مصير الجزائر "[40].

إن الحلول التي يقدمها الإسلاميون الجزائريون للمشاكل تتسم في الغالب بكونها تعتمد على نصوص تجريدية في القرآن والسنة منفصلة عن سياقها في القرآن وفي التاريخ[41] وهم بذلك، في نظر غارودي،"لا يدعون إلى إعمال الفكر ومبدأ المشاركة، بل

يدعون إلى الانقياد السلبي للزعماء الدينيين، محترفي الدين، الذين يجعلون أنفسهم بمثابة، موظفين لدى المطلق"[42].

-يقول غارودى منتقدا هؤلاء:" إن حركات كهذه تكون طريدة سهلة لقوى أجنبية، جاهزة دائما لتمويلها بسخاء، لأنها تعزز كل السلطات، الأمر الذي يسمح لهذه القوى بتوطيد وصايتها الإيديولوجية من خلال تبعية اقتصادية[43]

.ب- انحطاط الغرب (الإسلاموية الإيرانية نموذجا):

المصدر الثاني للأصولية، في نظر غارودي،"هو انحلال الغرب أخلاقيا، الغرب الذي يقدم بكل أسف حجة حقيقية لحذف إجمالي لكل ما لا يعود إلى الماضي، والذي يسمح بتعارض المرمى (الهدف) الروحي للحركة مع تفكك الغرب [44].

إن الغرب يتميز بالانحلال الأخلاقي والفقر الروحي، مما جعل الحركة الأصولية تبحث عن نموذج أخر مغاير للنموذج الحضاري الغربي، وهذا النموذج الذي تشكل منذ عصر النهضة، في نظر غارودي، أي منذ ولادة الرأسمالية (الاستعمار) التي هي في نظره المسؤولة عن هذا الانحلال المتمثل في"ضمور البعد المتعالي في الإنسان"، حيث حصرت الإنسان في بعد واحد: منتج ومستهلك، تحركه المصلحة وحدها، فحرية السوق تتضمن تنافسا وحشيا، ومجابهات في أدغال بين إرادات القوة والاستمتاع والنماء لدى الجماعات والأمم، تتراوح بين العنف في الشارع وتوازنات الرعب بين القوى [45].

إن التطور الصناعي الذي حققه الغرب أصبح يشكل خطرا على الكرة الأرضية بكاملها من خلال مخاطر الثلوث ونفاذ المصادر والمواد الأولية، والنفايات النووية، وتحطيم طبقة الأوزون [46].

إن هذا الانحلال المعنوي والخلقي يتجسد في ارتفاع متصاعد للجريمة كالقتل والسرقة والإدمان على المخدرات، لقد أصبحت الحياة في المجتمع الغربي تمثل حياة بلا هدف بلا معنى بلا مستقبل، والأسوء من هذا كله إن الغرب يريد أن يفرض نموذجه هذا على العالم في صور شتى: ليبرالية، ديمقراطية، حداثة، استعمار،...

يقول غارودي:"إن مشهد انحطاط عالم كهذا بلا معنى، بلا بعد إنساني حقيقي، عالم مستسلم لقوانين اقتصاد السوق وحدها، حيث لم يعد في إمكان الحياة الروحية أن تعاش إلا في النفوس دون أن تلعب أي دور في نظم الأوامر الإجتماعية ولا في توجيه العلوم والتقنيات لكي تساعد على تفتح الإنسان، لا على تحطيمه، أدى في مرحة أولى إلى قرارات فردية: دروب كاتماندو، الغيبية/الباطنية، البحث عن معلمين مرشدين ومنقذين... ثم أدى إلى ردات فعل سياسية قوامها الرفض الشامل لحضارة غربية فاسدة "[47] مثلما يتجلى في الثورة الإيرانية، التي تعد في نظر غارودي النموذج الأرفع لكل أشكال الرفض هذه فهي أول ثورة موجهة ضد حضارة، الغرب، وليس ضد نظام سياسي ضد بنية اقتصادية، واجتماعية[48]، فكيف قامت هذه الثورة؟ وكيف تحولت إلى حركة أصولية.

لقد كان نظام الشاه في إيران هو الأداة لتحقيق المشروع الغربي في إيران والخليج وهو ما أعطى في نظر غارودي مبررا لقيام المعارضة الإيرانية التي تجلت في الجوامع والمساجد، حيث آيات الله، حجج الإسلام أو الملالي العاديون كانوا ينددون بفساد النظام

وبولائه للولايات المتحدة، وبوحشية أعماله القمعية. في تلك المواعظ الأخلاقية تكونت أطر الحركة الثورية. أولئك الذين كان النظام قد سجنهم وعذبهم ... واغتالهم، مثل علي شريعتي، أو نفاهم مثل آية الله الخميني، فصاروا شهداء إسلام مجاهد، فلكلمة شهيد وقع شعبي وديني عميق في إيران، لان النموذج الأول للشهيد هو الحسين، حفيد النبي، الذي اغتاله أول ملك أموي، هكذا كان ينصهر الدين والسياسة في مصدر الجهاد ضد الطاغية وأصدقائه الأجانب، يقول غارودي:"هكذا ولدت أول ثورة موجهة ضد الحضارة الغربية، المحاربة ليس فقط في انحرافاتها وانحطاطها، بل أيضا في أساسها ذاته، وعندها شهدت إيران تراكب التقنيات الأوروبية الضرورية وأقدم أشكال عرفها إسلام أصولي، مغرق في أصوليته بقدر ما كان مقموعا لأمد طويل من جانب نظام الشاه الإرهابي ومعلميه الأمريكيين[49]، ولكن هذه الثورة لم تكن تمتلك المحصنات التي تقيها خطر الأصولية،ومن هنا يتساءل غارودي قائلا:

لكن إذا كان ثمة أخلاقية تسمح بتحطيم نظام وبتعيين أهداف إنسانية وإلهية لمشروع مجتمع بتوجهه الاقتصادي و السياسي ،فإنها لا تقدم المناهج ولا التقنيات لبلوغ مرادها، وبالتالي كيف تمكن توجه أخلاقي كهذا من توليد الأصولية ؟.

هناك، في نظر غارودي، عاملان تاريخيان يدخلان على المسرح: تراث "الإمامة" الشيعية، الذي يفضي إلى شخصية السلطة، والحرب العراقية -الإيرانية التي تحالف العالم بأسره، من خلالها ضد إيران، والتي أدت إلى تجدير النظام[50] هذان العاملان سيشكلان منعطف الثورة في اتجاه الأصولية مثلما يوضح ذلك غارودي في قوله:إن التراث المختص بالإسلام الشيعي هو تراث"الإمامة"، وجود الإمام مستور" ينتظر"ظهوره" وبكلام

آخر، ينتظر رجوعه، جرى اعتبار الخميني كأنه ممثله المرئي، محاطا بطبقة ايكليروس حقيقية، مرتبة: آية الله، حجة الإسلام، الملا. وكان جهادهم ضد استبداد الشاه ضد غزو تقاليد الغرب وعاداته، وعدد شهدائهم يكللهم بأكاليل مجد مبين على هذا النحو، قام نوع من التيوقراطية الاكليروسية مع إمامها المعصوم، المعتبر كمستودع للمعنى المستور للرسالة القرآنية، يعد العدة لظهور الإمام المستور"إن خطورة هذا الأمر تكمن في إضفاء القدسية على السياسة الأمر الذي يخدم استبداد الأمراء والطبقات المميزة، ويضاف إلى هذا العامل الداخلي العامل الخارجي، حيث إن هذا الوجه الثوري للحدث الإيراني أثار خوف وحقد كل الأنظمة القائمة في العالم. فأطلقت العراق إلى الحرب وشملت تحالفا عاما ضد الثورة الإيرانية ...وهكذا حوصرت إيران إن حالة الحصار هذه قادت إيران نحو التشدد والإرهاب مثلما انقادت فرنسا سنة 1793 وروسيا سنة 1920 في مواجهة غزو المتحالفين.[51] ضد الثورة.

ج - الأصولية الإسرائيلية:

تمثل الأصولية الإسرائيلية إحدى أخطر الأصوليات المعاصرة ،فباسم شعب الله، وغيرها من المقولات التي تشكل الفكر الصهيوني، تغتصب إسرائيل أرض فلسطين، وقد زاد في عنجهيتها الدعم الذي وجدته من طرف الأصوليات الغربية، وعلى رأسها، الأصولية الأمريكية التي وجدت في إسرائيل الوسيلة لتحقيق مشروعها الاستعماري في المنطقة، وقد أدى هذا التطرف الإسرائيلي إلى ظهور بعض الأصوليات المضادة للمشروع الإسرائيلي الغربي، وقد اتخذت هذه الأصوليات صفة المقاومة الإسلامية، وهو ما يؤكده غارودي في قوله:" أما العامل الثالث الذي أسهم في نمو الأصولية، خصوصا في لبنان لدي

اللبنانيين الأكثر تطرفا، على رغم جهود منظمة التحرير الفلسطينية التوازنية، وكذلك في العالم العربي بأسره، فقد تمثل في سياسة القادة الإسرائيليين الذين واصلوا قومية الغرب واستعماريته"[52].

إن الاستعمار في نظر غارودي، هو أحد العوامل الأساسية لبروز الظاهرة الأصولية، ذلك أن تطرف الاستعمار، لا يمكن أن يؤدي إلا إلى المقاومة، وهي أمر طبيعي ومشروع في ظروف كهذه، إلا أن هذه المقاومة غالبا ما تنحرف عن خطها الصحيح فتتحول إلى أصولية لا مبرر لها وفي هذا السياق يقول غارودي:"إن حضور الغرب على هذا النحو القريب والمهيمن، في صميم العالم الإسلامي، غدا في المقابل التيارات الاسلاموية وحتى انه شجع على قيام دكتاتوريات عسكرية تسوغ هيمنتها واستبدادها من خلال المزايدات والإشارات-اللفظية خصوصا-إلى تجاوزات إسرائيلية"[53] وهكذا فباسم القضية الفلسطينية، قضية الأرض الإسلامية المغتصبة، قامت بعض الأصوليات الإسلامية، ورغم عدالة هذه القضية، إلا انه لا يمكن مع ذلك تبرير هذه الأصولية.

د- الأصولية السعودية:

يعتبر غارودي الأصولية السعودية من اخطر الأصوليات الإسلامية المعاصرة، بل هي في الغالب أصل هذه الأصوليات جميعا، فقد اتخذت هذه الأصولية مظهر استغلال الدين لخدمة مقاصد هي في الغالب اقتصادية وسياسية، يقول غارودي :"منذ (15) سنة، المصدر الرئيس للأصولية هو نفوذ العربية السعودية في العالم الإسلامي بفضل قوتها النفطية، فالقادة السعوديون يمكنهم، بفضل وسائلهم الضخمة، تمويل جميع الحركات الإسلامية في العالم كله لخدمة مقاصدهم [54].

لقد عملت الأصولية السعودية على نشر إسلام معين، هو الإسلام الذي يبرر سلطة الحاكم وتصرفاته ولو كانت تتعارض مع روح الإسلام الصحيح، كتبرير التحالف مع الغرب الرأسمالي، وإقامة المشاريع الاستثمارية الضخمة، كإقامة بنوك إسلامية في ظاهرها، احتكارية ربوية في حقيقتها، وباسم هذه الأصولية حورب الإسلام الروحاني (التصوف)ورفض الاجتهاد، وكل مسعى إلى تغيير الفساد الاجتماعي والسياسي و...[55]

4 - الحلول المقترحة لمواجهة الأصولية:

إن غارودي يعتبر الأصولية هي مرض هذا العصر، فهذا المرض يصيب بأذاه كل الحركات السياسية والدينية في عصرنا"[56] وبالتالي فان هذا المرض هو الخطر الأكبر على عصرنا لأنه بات يهدد الحضارة بكاملها[57] وهذا يستدعي التفكير بجد في إيجاد الحلول لهذه الظاهرة، وانطلاقا من المفهوم الذي يقدمه غارودي للأصولية والتي هي كما أسلفنا "ادعاء الأصولي انه يمتلك الحقيقة المطلقة، وانه يمتلك من ثم لا الحق فحسب بل الواجب أيضا في فرض تلك الحقيقة على الجميع ولو بالحديد والنار".

وانطلاقا من هذا التعريف يستخلص غارودي الوصفة الطبيعية لمعالجة هذا الداء وتتمثل هذه الوصفة في الحوار، يقول " فالحوار هو نقيض الأصولية لكن ليس هناك حوار بين السيد و العبد، إن الحوار تضليل إن لم تحل المشاكل الأساسية التي يولد تناسيها الأصولية: العلاقات مع العالم الثالث، وكل ما ينجم عن البطالة والهجرة إلى الاعتراف بثقافة الآخرين ومعتقدهم[58]، إن غارودي يقدم الحوار بديلا للأصولية، غير أنه يضع شروطا لهذا الحوار، فالحوار مع الآخر ينبغي أن يقوم على اعتراف كل طرف بان لديه ما يقدمه للأخر كما أن لدى الأخر ما يمكنه أن يتعلمه منه.

وفي نظر غارودي فإن القران انطلاقا من الرسالة التي يحملها يقدم العلاج لدحض الأصولية الإسلاموية، يقول:" أما دحض الأصولية الإسلاموية فلا يجري انطلاقا مع غرب تلوح تباشير انحطاطه، بل من الداخل، انطلاقا من الرسالة القرآنية التي تبين إن الإسلاموية هي مرض الإسلام"(59).

الخاتمة:

على ضوء ما تقدم نستخلص مع غارودي ما يلي :

-أن الأصولية هي مرض هذا العصر الذي ينبغي علاجه لانقاد الحضارة.

- إن الأصولية ليست ظاهرة دينية فقط بل إن الأصولية الدينية ليست سوى واحدة من أصوليات كثيرة .

- إن الأصولية ليست ظاهرة خاصة بالخطاب الإسلامي وحده كما هو شائع بل إن أصلها غربي .

- إن الخطاب الإسلامي المعاصر هو في كثير من الأحيان خطاب أصولي طالما أنه يراعي امتلاك الحقيقة المطلقة ويحاول فرضها على الآخرين بوسائل مختلفة.

- إن الأصولية في الخطاب الإسلامي واحدة إلا أن ألوانها متعددة بتعدد الظروف والعوامل التي أثرت في ظهور كل منها.

- إن الحوار هو الحل الأمثل للتخلص من ظاهرة الأصولية.

الهوامش

1- إبراهيم محمد جواد، المستشرقون والإسلام، مجلة النبأ، ع 51، سنة 2000، الصفحة الالكترونية

2- غارودي، الأصوليات المعاصرة، ص 13

3-المصدر نفسه، ص 13

4-إبراهيم محمد جواد، مرجع سابق .

5-المرجع السابق

6-غارودي، المصدر السابق، ص 11 .

7-غارودي، نحو حرب دينية، ص 37 .

8-غارودي الأصوليات المعاصرة ص ص 36، 37

9-المصدر نفسه، ص 24 .

10- المصدر نفسه، ص 37 .

11-غارودي نحو حرب دينية، ص 37 .

12--غارودي، الأصوليات المعاصرة، ص 37 .

13-المصدر نفسه، ص 82 .

*- يميز غارودي بين الخط الاول للاخوان المسلمين الذي يمثله الرائد الاول للحركة وهو خط إيجابي بناء، والخط الثاني الذي يمثل إنحرافا عن الخط الاول، أنظر غارودي الاصوليات المعاصرة ص 76 وما بعدها .

14- غارودي الاصوليات المعاصرة، ص ص 85، 86 وأنظر أيضا : نحو حرب دينية، ص 48 وما بعدها

15- لاصوليات المعاصرة ص 86 .

16- المصدر نفسه ص 86 .

17-المصدر نفسه ص 82 .

18- نفسه ص 82، 83 .

19- نفسه ص 83 .

20- نفسه ص 86

21- نفسه ص 88 .

22- نفسه ص 93 .

23- نفسه ص 90 .

24--نفسه ص 94 .

25-نفسه ص 94 .

26- نفسه ص 96 .

27-نفسه ص 96 .

28- نفسه ص 96 .

29- نفسه ص 97 .

30-نفسه ص 97 .

31-نفسه ص 97 .

32-نفسه ص 97 .

33-نفسه ص 98 .

34--نفسه ص 60 .

35- نفسه ص60 .

36- نفسه ص60 .

37 - نفسه ص60 .

38 - نفسه ص61 .

39 - نفسه ص61 .

40 - نفسه ص62 .

41 - نفسه ص63 .

42 - نفسه ص64 .

43 - نفسه ص65 .

44 - نفسه ص70 .

45 - نفسه ص71 .

46 - نفسه ص79 .

47 - نفسه ص77 وما بعدها .

48 - نفسه ص12 .

49 – نفسه ص12 .

50 – نفسه ص37 ،وكذلك نحو حرب دينية ص 37 .

51– نفسه ص 12 .

52– غارودي نحو حرب دينية ص 37 .

53– غارودي، أصوليات ص 12 .

54– غارودي نحو حرب دينية ص 37 .

55– غارودي الاصوليات ص 12 .

56– نفسه ص 12 .

57–غارودي نحو حرب دينية ص 37 .

58– نفسه ص 38.

59–غارودي الاصوليات ص 12.